2000 07 22 - 0001 - R

نداء من المخطوفين

ألفت التنير

مع قرب انتهاء مهلة لجنة التحقيق الرسمية لتحديد مصير المخطوفين والمفقودين:

... كانوا يتحسسون اجسادهم الموؤودة في العتمة، لكل منهم عينان، واحدة تلعن الظلم والظلام، واخرى تتطلع صوب ذاكرة الناس... يد من المجهول تمتد في افق الحاضر، تمسك بيد واهنة لتخط بأصابع مرتجفة امام احداقنا جميعا:

سلام عليكم يا اهلنا واحباءنا... زرعنا اجسادنا حقول زيتون، يمامات بيضاء لأطفال رائعين آتين من وراء الافق... لأجيال قادمة مع مواسم الخصب... كونوا على قدّ الحلم بالوطن الحقيقي، ولا تقطعوا حبل السرة الذي يربطكم بالذاكرة... إنّ أجمل الأوطان، وانقاها دماً، واكثرها سلاما مع النفس ومع الآخرين، هي التي تتعمد بالألم، وتتطهّر بالعبر، وتتماهى مع ذاكرتها، فلا تشوب غيوم النسيان والقطع مع الماضي. سلام على حاضرها ومستقبلها...

سلام عليكم يا اطفالنا... عفوكم، غُيّبنا عنكم، براعم ندية غذتها البراءة بمائها المطهر، أكف لدنة لما يخدشها الشوك بإبره... عيون متسعة لضوء النهار، لوجه ام واب، لكلمة بابا تدغدغ اسماعكم برنتها الحلوة... سامحونا يا اطفالنا، فنحن لم نقصد الابتعاد عنكم، لم نرد حرمانكم عطفنا... لمسة ايادينا على وجناتكم المسقية بالورد، لم نغزل لحرمانكم معطفا بأصابعنا... كنا ضحايا وكنتم... عفوكم مرارا... لم نقصد ان تكبروا في غيابنا، ان تناموا في فراش بغير دثار، إن تتعلّموا ابجدية لا اب فيها، ولا اخ، بل آه من خرقة وحرمان.

هل ما زلتم تذكرون وجوهنا؟ صدى ضحكاتنا حين نرفعكم في الهواء لنتلقفكم بأيدينا، ولنمرّغ طراوة أقدامكم بشفاهنا؟ كيف هي احوالكم يا بابا؟ آه... صرتم شبابا بعمر الورود، لكنكم ما زلتم في عيوننا اطفالا، نناغيهم في احلامنا، نرد الغطاء على اجسادهم الصغيرة، في غفلة عن جلادينا...

سلام عليكن ايتها الحبيبات... من زمان لم يراسل واحد منا حبيبة، او زوجة او اماً... عشرون عاما، لم نمسك قلما بأصابعنا... على حيطان زنزاناتنا المسودّة، كنا نكتب بأظافرنا، اسماء نساء، منّ مدننا، وقرانا... قصائد البخور في هياكلنا القديمة، وطقوس الحب الذي لا يموت ولو...؟!

عفوا ايتها الحبيبات... نعم... قد لا نكون جميعاً احياء، لكننا نحيا في بريق عيونكن، نلمح وجوهكن المتعبة في اقمار نسجناها من ضوء عيوننا... نصغي من الحفر التي نتكوم فيها، لإيقاع دقات قلوبكن... وصرخاتكنّ آناء الليل والنهار...

يا حبات القلوب، لا احد غيرنا انصت الى نشيج القلق والحيرة والشوق في اعماقكن، كما لم يتحسس احد مثلنا، موجات الألم التي انفلشت على مدى عشرين عاما في خلاياكن... انتنّ، يا من حملتنّ صليب اختفائنا فوق اكتفاكن ومشيتن درب الجلجلة، دقيقتكن سنة من دمع، وسنتكن دهر من وجع... أن احداً ممن تناوبوا على الأرائك، على مدى عقدين من الشوك، لم يرفّ له جفن، معظمهم تهالك على إهالة تراب النسيان فوق اجساد لنا حنطها التخلي...

غدا يا حبيباتنا، عندما يعلنون الحقيقة – وقد دنت ساعتها – قد لا يطرق معظمنا بابا من ابوابكن... نقولها بغصة تفرغر في حلوقنا نعم... إلا أن ما يعزينا، هو أن نضع حدا لعذاباتكن وانتظاركن اللامحدود... وقرن دموعكن، فإن حرها يحرق اجسادنا... واقمن للحقيقة عرساً... لكن الحق بالحياة فأنتنّ امتداد لآمالنا واحلامنا بالحب، والسعادة، والحرية، والعدالة والسلام... وسلامكنّ الداخلي، جزء من السلم الاهلي الذي يستحقه وطننا...

كلمة اخيرة ايها الاحبة... صحيح ان الحرب داست فوق اجسادنا. أملنا في وطننا ألا يدوس السلم على ذكرانا... فهل نكون جسر العبور نحو الوطن الحقيقي، حيث إنساننا فوق الطائفة والمذهب والقبيلة؟! لعل وعسى...

ناشطة اجتماعية